حملتَ على الدين المقدّس ناسباً لحدّامهِ في وقت خدمتهم شرًّا
فكذّبك الحالُ الذي ادهش الورى وخطّ لهُ التاريخُ في صدرهِ سطرا
ومثلك يا هذا يبرحُ بشرهِ ليُكتبَ في ذيل الطروس ولا يُقرا

ربّة بني عَمّون

بحث تاريخي اثري بقلم حضرة الخوري بولس سلمان

من تجوّل في شرقيّ الاردن طارياً تلك الديار الداثرة وسرّح الانظار في هاتيك المدن البائرة وتأمل ما كانت عليهِ من المجد والثروة في الاجيال الدابرة وكيف انقلبت من رَفْع عزّها وانتروضت بعد ان تعاقبت عليها الدول الفاتحة تذكر النبوّات الرهيبة التي قضت عليها بالخراب والبوار دهرًا طويلًا من قبل ان ينزل بها شيء من طوارق الايام ونوازل الحدثان واذا وقف على تلك الاطلال المبعثرة ملكتهُ رهبةُ الاثار فسبحان الباقي العظيم من لا يتغيّر بتقلّب الادهار فيسرّ في خلده قول الشاعر العربي:

اتى على الكلّ امر لا مردّ له حتى قضوا فكأنّ القوم ما كانوا

على ان ما يطرب له قلب الزائر في رحلاته العلمية بين تلك الامصار انه يعثر على اسماء المدن القديمة بلفظها وحروفها كما نطق بها القدماء انفسهم وسطّرها مؤلفو الكتاب وغيرهم من المؤرخين الوثنيين وقد يختبر بنفسه قول الاوروبيين في الشرق بانه بطيء الحركة في مراقي النجاح لا يميل الى التغيير والاقتراح. هناك يرى اخلاق الاهلين وعوائدهم وما اتخذوه في معيشتهم من مأكول ومشروب وثاث وملبوس وغيره كأن لم يحدث في عالمهم تقدّم وفلاح. فهي هي دون ان يطرأ عليها زيادة ونقصان منذ اربعين جيلًا فينتقل الى دهر لم يكن ليعهد تمدّنهُ ولا دارت في خلده احوالهُ وشؤونهُ الى عصر الآباء والاسرائيليين في طور نشأتهم فيدرك اذ ذاك ان ما دوّنهُ كتاب الله من حياة العبرانيين لم يكن من مستنبطات الاذهان ولا من مخترعات الازمان كما يتوهّم ارباب الضلال

ومن اقدم تلك المواطن عهداً واوفرها اثاراً ربّة بني عمون التي حلّت محلًّا رفيعاً في الاجيال الماضية ودام عزّها ومجدها حيناً طويلًا تُنازع غيرها من المدن الشرقيّة الكبرى وهي اليوم تُلفت أبصار السيّاح بما بقي فيها من كنوز الدهر الغابر ولذلك احببنا ان ننشر من انقاضها الحاضرة ما وعاه لنا الزمن من تلك المعالك البائدة ونبشها من لحد النسيان قبل ان تُهدم ابنيتها القديمة وتصبح ردوماً واطلالًا. ولا يُنكر ما وراء تلك المقالات الكتابية الاثرية من جليل الفوائد مما تتجلّى بها مشكلات الكتاب فضلًا عمّا يستعين به المطالع على ادراك ما تعسّر عليه من معضلات الآيات. ولقد قسمنا مقالتنا هذه الى قسمين: فالقسم الاول يبحث عن تاريخ الربة وقبل ذلك اتينا بشيء عن اسمائها وذكرنا موقعها الجغرافي ودوّنا في القسم الثاني وصف عمان وآثارها الحاضرة مما ترتاح اليه النفس وتلذّ له المطالعة

١ مدينة عمان واسماؤها

اول اسم عُرفت به عمّان الربّة (רבה) ومعناها جليٌّ لمن نال سهماً من اللغات الساميّة كالسريانية والعبرانيّة. والربّة هي العاصمة ودار الملك وهي مشتقّة من (רב) مصدر يدل على الكثرة لان العاصمة تجمع عدداً كبيراً من كبراء وشرفاء واسم يستنجدون دارَ السلطان لما يجدون هنالك من ضروب الزين وانواع الملاهي والسرّات فضلًا عن راحة البال لا سيما في بلاد اصبحت من عهد قديم دار حرب واضطراب. وكانت الشعوب السالفة في عبر الاردنّ تسمي قصبة البلاد باسم الربّة وكانوا يضيفون اليها لقب الشعب ليكون بينها وبين غيرها تمييز مخصوص فلذلك دعوا قصبة بلاد موآب ربّة موآب (רבת מואב) ودعوا عاصمة بلاد العمونيين ربّة بني عمون (רבת בני עמון) وقد ذكرها على هذا المثال كتاب الله الكريم دفعات شتّى (١ واربما دعاها الانبياء والشعراء بمدينة المياه (עיר המים). واذا سافر المرء اياماً

١) ودونك الآيات التي ورد فيها ذكره ١. اولًا سمّاها الكتاب ربّة بني عمون في تثنية الاشتراع ف ٣ ع ١١ — سفر الملوك الثاني ف ١١ ع ٢٦ و ف ١٧ ع ٢٧ — ارميا ٤٩: ٢ حزقيال ٢٥: ٥. ثانياً جاء ذكرها وحدها فسماها الربّة في يشوع ١٣: ٢٥ — الملوك الثاني ١١: ١ — وف ١٢ ع ٢٧ و ٢٩ — الايام الاول ٢٠: ١ — ارميا ٤٩: ٣ — حزقيال ٢٥: ٥ — عاموس ١: ١٤

طوالًا في تلك البوادي والقفار بين وقدات الحرّ وهجماته وانتهى الى تلك الديار شعر بانه في جنّات فسيحة ترويها المياه الغزيرة فيجلس تحت اثنان خمائلها الخافية الظلال يستقي من عذب مواردها. هناك الآبار الكثيرة القديمة والحديثة فما يكاد يحفر في تلك الارض حفرةً صغيرة الّا وتتدفق منها المياه المتفجرة ولذلك ترى الاعراب واردين اليها بمواشيهم واذا سألهم المسافر عن اسم عمّان اجابوا بكلام الاستعارة انها مدينة المياه على انّ هذا الاسم أطلق في الايام القديمة على المدينة السفلى كما سنبينه في موضعه ولقد ذكرها الانبياء ايضا باسم معبوداتها فدعوها بمدينة ملكوم او ملكام (עיר מלכם או מלכום). وقال استفانوس البيزنطي انها كانت تدعى باسم الإلهة عشتروت لوجود هيكل فيها لتلك المعبودة. وقد سماها اشوربانيپال حين افتتحها ببيت عمون (בית עמון) وفي اللغة الاشورية يدلّ البيت على الحصن الحصين والهيكل العظيم. وبعد ان درجت الايام دعاها المؤرخون من يونان ورومان فيلاذلفيا (Philadelphia) نسبةً الى بَطْلَماوس فيلاذلفوس (Philadelphos Ptolemaios) (٢٨٥ – ٢٤٧ ق.م) وهو الذي رمّم فيها هيكل الزُهرة وعبادة الشمس. وكذلك دعتها السكركات الكتشفة ما بين انوارها. وعلى هذا المثال ذكرها اوسابيوس في كتابه معجم الاسماء (Onomasticon). ولما تزل فيها الاعاجم وبنوا فيها القصر الكبير لم يغيّروا رسمها بل دعوها عمّان واتى العرب من بعدهم واتبعوا ذلك الاسم دون ان يُنزلوا به تحريفاً ولذلك يقول المقدسي في الجيل العاشر: وعمّان هي حاضرة البلقاء. ولبث هذا الاسم الى يومنا هذا مرسوماً في حوافظ الناس يوردونه على هذا المنطق (١

٢ موقعها الجغرافي

مدينة عمّان واقعة في الجنوب المائل الى الشرق من ارض فلسطين ما بين

---

(١) ومما يحسن ذكره هنا ان الربّة اسم مدينة من مدن اليهودية ذُكرت مع قرية يعاريم في سفر يشوع ف ١٥: ١٠ ولم تُكشف آثارها الى هذا الحين وهي تتميّز عن ربّة بني عمّون. والربّة في زمننا الحاضر مدينة كبيرة في اواسط افريقية على خط التيجر كانت تجارة الارقاء رائجة فيها ويكثر فيها اليوم بيع العاج

الدرجة الثانية والثلاثين والثالثة والثلاثين عرضاً والدرجة الثالثة والثلاثين والرابعة والثلاثين طولاً. واذا سافر المرء عند طلوع الشمس راكباً قطار الحجاز من الشام ادّى به السير عند المساء الى محطّة عمان وهي تبعد عن دمشق ٢٢٢ كيلومترًا وآثار عمان تبعد عن موقف القطار اربعين دقيقة واذا امتطى جواداً من السلط طالباً عمان وصل اليها بخمس ساعات. وكم من اسير من امراء العرب طوى ذاك المدى طيرًا ينهب الارض لسرعة جواده فاذا انتهى الى تلك الارض رأى امامهُ سهلاً خصيباً يريح الابصار تتدفق في جوانبه الجداول فتسقي تلك الحدائق الملتفة الاشجار فيقف ليعاين تلك المناظر البهجة وما زانتهُ يد الانسان من المشاهد البديعة. هناك نهر عمان يجري بين جنّات واسعة ثم يمتدّ فيصير راساً لنهر الزرقاء المعروف في الكتاب المقدس باليَبوق (Jabbok). والمدينة السفلى يقسمها النهر الى قسمين وعلى جانبَيهِ قد ارتفعت ابنية الشركس على آثار مدينة المياه ومدينة الملك. وعمّان تعلو عن سطح البحر نحو ٢٣٥٠ مترًا

٣ تاريخ مدينة عمان

ان العمّونيين هم من نسل لوط كما سطّره الكتاب فولدت لهُ ابنتهُ الصغرى ابناً سمّته بنعمي وهو ابو بني عمون. ومن رام تدوين تاريخهم من اول نشأتهم اتّضح له ان تقدُّمهم في مراقي العمران اشبه بتمدن بني اسرائيل فكانت اول خطواتهم في معارج الحضارة تضارع حياة الاباء الذين عاشوا بين مواشيهم واغنامهم يسرحون بها في تلك الجبال والهضاب منتجعين ربوع الخصب والماء واردين الى مجاري المياه. وارتيا كانوا في اول امرهم قاطنين في المغاور المجاورة للربّة لانها لم تزل مأوى الرعيان وعابري الطريق الى يومنا هذا فكانوا يقضون لياليهم فيها آمنين من وطأة الاعداء والغزاة. وبعد ان درجت الايام ورأوا من الضرورة استخدام الخيم اخذوا ينسجون بيوت الشعر طلباً لحاجات غنمهم. على انهم اقاموا لهم بيوتاً صغيرة بنوها بالآجرّ والطين كما تشهد عليه الآثار الخارجة عن البلد. ولم يسكنوها الّا الزمن القليل من السنة بل كانوا في رحيل مستديم يقطعون الارض الى مواقع الكلإ ولبث دينهم التوحيد دهرًا لا يُعرف له حدّ في ماضيك الاجيال يقيمون

الذبائح للعلي. بيد أنهم بعد تعاقب الازمان اختلطوا بمن حولهم من الجبابرة الوثنيين ورأوا من عوامل الطبيعة ما أثّر بهم لا بل خُلبوا بجمالها كما قال الكتاب وشاهدوا من قوة المخارقات وافعالها كالشمس والقمر ما اوعبهم رهبةً ووقارًا فسموا الخالق حيناً بعد حين وألّهوا قوى الطبيعة الشيء بعد الشيء. فلذلك عبدوا الشمس والقمر والسيارات فاقاموا لها الهياكل العظيمة والمعابد الفخيمة. ومن أشهر آلهتهم كاموش (١ وملكوم وهما معبوداهم العظيمان حتى دعاهم الانبياء بشعب كاموش وشعب ملكوم لعلّ ملكوم هو نفس مولوك (מלך) فقد قال عنه الكتاب انهم كانوا يقدّمون له تقادم اولادهم وبناتهم ويحرقونهم بين ايدي مولوك (העביר את בנו ואת בתו באש למלך) وكان لملكوم كهنة وذبائح تقام في الهياكل او في الغابات تحت اشجار السنديان او على المشارف وسنذكر في منتهى الكلام ما عثرنا عليه في تلك الاصقاع من الآثار. ولقد سجدوا للإلهة عشتروت فكانوا يصوّرونها على ضروب متنوّعة فطورًا كانوا يمثلونها على صورة عشتروت الفينقيين واخرى على مثال عشتروت الفلسطينيين. وعبدوا البعليم وهي إلهة غريبة لم تنشأ في بلادهم بل حملوها من ارض كنعان لما كان بين العمونيين والكنعانيين من المواصلات العديدة فرسموها على انواع مختلفة فتارة كانت كالجماد وتارة كالحيوان واخرى كالانسان. والبعليم عندهم هو المبدأ الفاعل وعشتروت المبدأ القابل فمنهما تولّدت الآلهة على زعمهم

فهذا الطور من حياتهم سمّاه العلماء دهر الشيوخ فكانوا يختارون لانفسهم

(١ ومما يزيد قولنا ما وُجد في ديبان او ديبون القديمة في الجانب الشرقي من الاردن وهو قطعة من الرخام الاسود يحتوي على ثلاثين سطرًا وهي اليوم في متحف اللوفر في باريس ويخبرنا الحجر المرآبي عن حروب الملك ميشع (Mésa) وما جرى لهُ مع عمري ملك اسرائيل. والملك نفسه هو الذي اقام ذلك الاثر وقد دُوّن نحو سنة ٨٠٠ ق م على عهد عمري. قال فيها: «انا ميشع ابن كاموش جاد ملك موآب الديبوني. ان ابي قد ملك على موآب ثلاثين سنة وخلفتهُ بعد وفاتهِ وأقمتُ هذا النصب اكراماً لكاموش تذكار خلاص لانهُ انقذني من جميع الظالمين وانالني مرادي من اعدائي حتى من عمري ملك اسرائيل. وقد ضايقوا موآب ايامًا كثيرة لان كاموش كان ساخطًا على ارضه وعلى عهدي قال كاموش: قم بنا سأروي شهوتي به وسأسحق اسرائيل سحقًا ابديًا». واسم كاموش قد أُدخل في استهلال الكتابة وذُكر اثنتي عشرة مرّة في المدح والثناء فيعزو لكاموش كل ما يلحقهُ من الاضرار او ما ينالهُ من الافراح. وذكرت تلك الكتابة الاسم حرفًا بلفظهِ العبراني (כמוש) قال: «وسلب اواني حرفًا وقدمها لكاموش إلهي»

رجالًا ممّن عُرفوا بثاقب آرائهم وصحّة آدابهم ونزاهة سيرتهم وفطنتهم ودرايتهم يَسكلون اليهم مشكلات الامور فكانوا الحاكمين في الدعاوي الداخلية والمصلحين للاحوال الخوارج لا بل كانوا في بعض الاحوال يقومون مقام الكهنة وارباب الدين وعلى الاجمال كانوا مسلّطين في الامور الدينية والسياسية والاجتماعية واذا دعتهم الايام كانوا يتطوّن الخيل ويحشدون الجيوش لشنّ الغارات او ردّ الاعداء . ولو اردنا ان نضع حدًّا للمشابهة لرأينا الاعراب في ايامنا صورةً للعمونيين في هاتيك الايام

بيد انّ ذاك الطور لم يلبث أنْ تلاه دهر سمّوه دهر الملوك اقاموا به عليهم رجلًا واحدًا قلّدوه زمام السلطة . ومما يستلفت الاذهان انّ الأمم السالفة كانت تختار من ملوكها من كان قويّ الجسم جبّارًا يرعب الجيوش بسطوته ويرجع القوم بعلو قامته وضخامة اعضائه فاول ملك ملّكه البرانيّون هو شاؤل وكان شاؤل من كتفه فما فوق اطول من كل الشعب . وكذلك فعل العمونيّون فاول ملك ساد عليهم هو عوج وعاش في الجيل السادس عشر قبل المسيح وكان من بقية الرفائيين (١ ومن غريب امره انه كان مالكًا على ارض باشان مستوليًا على سلخة وأدرعي . ولما امر الرب الاسرائيلين بافتتاح تلك البلاد انكسرت جيوشه امام بني اسرائيل فلم يجد بدًّا من الهرب فانهزم تاركًا لهم مدنه واموالهُ وغنمهُ واعتصم بالربّة لما وجد فيها من الامن والسلام (٢ فضلًا عمّا فيها من الحصون المنيعة والقلاع الحريزة فحمل اليها سريرهُ وكانت الربة شهيرة على ايام موسى بذاك السرير الغريب وطول السرير تسع اذرع وعرضهُ اربع اذرع بذراع الرجل (تث ٣ : ١١) فملّكوه عليهم لما ألفوا فيه من صفات الملك وغدت الربة منذ ذاك الحين عاصمة بلاد العمونيين . فاعدّ لنفسهِ جيشًا واتّخذ حاشية وقوّادًا لدفع هجمات الاعداء . ودارت الحروب بين

---

١) والكتاب يسمّيهم زمزميين وهم الجبابرة المشهورون منذ القدم — وكان في ارض العمونيين قبل توطنهم فيها قوم من الجبابرة يسمّوهم زمزميين فاهلكهم الربّ واقام مكانهم بني لوط (تثنية الاشتراع ٢ : ٢٠)

٢) وقال الرب لبني اسرائيل : واذا دانيت جهة بني عمون فلا تُعادوهم ولا تُناجهم (تثنية الاشتراع ٢ : ١٩)

يشوع والامم القاطنين في عبر الاردن فاذلّهم وامتلك اراضيهم بيد ان الربة لبثت مستقلة بين ايدي العمونيين فوهبوا ليشوع نصف ارضهم اعطاها يشوع لبني جاد فكانوا يؤدون من ذاك العهد الجزية من مواشيهم لآل اسرائيل

وكان الله قد نهى الاسرائيليين عن مخالطة الامم واتخاذ بناتهم فلم يكترثوا لكلام الله ولا حفظوا عهده بل اخذوا حيناً بعد حين يتزوجون ويزوجون ويخالطون العمونيين فكانت نتيجة معصيتهم ان عبدوا البعليم والعشتروت وكاموش وملكوم — فقد يحسن بنا ذكر ما كان يجري هنالك من الحفلات الدينية والطقوس الغريبة فكانت العذارى يَطُفْنَ حول الصنم يسحبن ثيابهنّ الضافية الاذيال بين اصوات الدفوف والمزامير والكنارات وبين الترانيم الخلاعية والاغاني المهيجة . وبقيت تلك العادة بين العرب كما اشار اليها امرؤ القيس حيث قال في معلّقته :

فمثلِكِ لنا سربٌ كأن نعاجهُ عذارى دوارٍ في ملاء مذيّلِ

فغضب الرب غضباً شديداً على بني اسرائيل لانهم عبدوا البعليم والعشتروت وآلهة بني عمون واسلمهم الى العمونيين ثماني عشرة سنة فظلموهم بما كانوا ينهبونه من الغنم بالغزوات المتواصلة وداسوهم تحت اقدامهم ولم يقفوا عند هذا الحدّ بل طمحت بهم النفس الى افتتاح يهوذا وبنيامين وآل افرائيم فاستغاث اسرائيل بالرب في شدّته فاجابه الرب مستهزئاً : اذهبوا واستغيثوا بالآلهة التي اخترعوها فهي تنقذكم . على ان قلبه رقّ لهم وارسل لهم مخلّصاً يفتاح الجلعادي . فذهب يفتاح الى الربّة وخابر الملك بالصلح فلم يقبل بالصلح والسلام فمضى وحشد العساكر ونزل بجيش عظيم فدحر بني عمون وردّهم الى ارضهم مغلوبين (قضاة ١١ : ٣٣)

ومضى جيل على تلك الحال والعمونيّون مذلّلون لا يميلون الى الحروب بيد انهم تقوّوا في تلك المدّة ورأوا من ضعف بني اسرائيل ما شجّعهم ودفعهم على القتال فتزعت نفوسهم للغزوات (١ مكابيين ١١ : ١—١١) فتزلوا بلكهم الى يابيش جلعاد فقال جميع اهل يابيش لناحاش ملك العمونيين وهو الملك الثاني الذي ذُكر له اسم في الكتاب : « اقطع لنا عهداً فنخدمك . فقال لهم ناحاش العموني : على هذا اقطع لكم عهداً اقلع كلّ عين يمين لكم واجعل ذلك عاراً على بني اسرائيل » . ومما عثر عليه

العلماء في ابحاثهم الاثرية ان الاقدمين كالمصريين والاشوريين والبابليين كانوا اذا ارادوا ان يذلّوا انساناً شوّهوا اعضاءه بما جعله كريهاً مستحقرًا فطوراً كانوا يقلعون عينه كما ورد في الكتاب واخرى كانوا يقطعون لسانه وتارة كانوا يحلقون لحيته وذلك عار عند الاقدمين اذ اللحية تُعدُّ عندهم زينة الرجل وصورة المهابة ومثال الكمال. فلما سمع شاول بما جرى اخذ ثورين فقطعهما وأنفذ الرسل الى جميع تخوم اسرائيل يقولون: كل من لا يخرج وراء شاول وصموئيل هكذا يُصنع ببقره. فاجتمع جيش عظيم وقاتل بني عمون فتشتّت من بقي منهم ولم يبقَ اثنان مجتمعين

وفي آخر عهد شاول لمّا نشأت بينه وبين داود المنازعات كان داود كثيرا ما يلجأ الى بلادهم ويحتمي في الربة عند الملك ناحاش. فتوثقت عرى المحبة والصداقة بينهما فلما مات ناحاش عقبه ابنه حانون على عرشه (٢ ملوك ١٠: ١٦) فقال داود: اصنعُ رحمة الى حانون بن ناحاش كما صنع ابوه رحمة اليَّ فارسل عبيدًا ليعزّوه عن ابيه فظنّهم جواسيس قدموا ليعرفوا قوتهُ وارضه فاهانهم اهانةً عظيمة وارسلهم الى وطنهم فكانت نتيجة ما حدث ان اضطرمت نيران الحرب بينه وبين الملك. فاستنجد العمونيون ملك ارام دمشق فنزل ملك ارام بمركباته الحديدية وخيله وعسكره وانتهى الى سهل ميدبا اي مادبا الحديثة فدار القتال بينهم والتحم الفريقان فقُتل شوفاك قائدهم وانهزم الباقون وتشتّتوا. على ان داود كان يخشى دائمًا وطأة الاعداء ورجوع الحرب ما دامت قلاع الربّة بين ايدي العمونيين ولذلك لما ادبر الشتاء وبدا الربيع بزهوره حيث كان الملوك يخرجون فيه للقتال ارسل داود يوآب لمحاربة الربّة (٢ صم ١٢: ٢٦) ولبث داود في اورشليم في قصره فمضى يوآب بجيش عظيم وحاصر المدينة السفلى المشتدة على شاطئ نهر عمان وكانت تدعى مدينة الملك. واخذها دون عناء لتأهّب منعتها. وتعسّرت عليه المدينة العليا لما فيها من الحصون الكثيرة فضلًا عن المؤن الوافرة التي تمنعها على احتمال الحصار. فكان العمونيّون يرمون جنود يوآب بالنشاب والصواعق وكانت السهام ترمي الجيوش لكثرتها. فعاد يوآب عن محاصرتها وبعث بكتاب لطيف يدعو الملك داود للمحاربة قائلًا: ها قد اخذتُ الربّة وحزتُ على مدينة المياه مدينة الملك (עיר המים עיר המלוכה) فاجمع بقية الشعب وانزل على المدينة وخذها انت لئلّا آخذ المدينة

فيكون الفتح على اسمي. وكان ملك الربة قد اعدَّ المعدّات في قلاع الربة وحشد الجيوش العديدة وكان في تلك المدينة العليا بركة كبيرة يُنزل اليها بالدرجات الى عين المدينة السفلى وكان الاهلون يعرفون لها باباً تحت في الصخر واذا انشبت الحرب دحرجوا الحجارة على بابها فلم يُعرف لها اثر. فجمع داود كل الشعب وسار الى الربة فحاربها واخذها بعد النصب الطويل واخذ تاج ملكوم (١ الهمم وكان وزنه قنطاراً من الذهب بالحجارة الكريمة فكان فوق رأس داود . واغتنم من المدينة غنائم وافرة جداً واخرج الشعب ووضعهم تحت المناشير ونوارج من حديد وطرح منهم في أتون الآجر فارتاعوا منذ ذاك الحين وخضعوا لملوك اسرائيل واصبحوا عبيداً لداود يؤدون له الجزية والاعشار من محاصيل بلادهم . على ان داود اختار منهم من وجدهم ابطالاً فيما بينهم ولذلك نعاين في عداد جيشه حالق العموني

وخلف ناحاش ابنه شوبي وكان مساءاً لداود (٢ مل ١٧ : ٢٧) مدّة ملكه ولما هرب داود من وجه ابشالوم ابنه الفى امامهُ من يعتني به ويقدّم له ما يحتاج اليه من الطعام. ولما دخل داود محنائيم جاء شوبي بن ناحاش وقدّم له فرشاً وطسوساً وآنية خزف وحنطة وشعيراً ودقيقاً وفريكاً وفولاً وعدساً وحمصاً مشوياً وعسلاً وسمناً وضأناً وجبن بقر فأكل هو والشعب الذي كان معه

وملك سليمان وتزوج ببنات العمونيين وبنى لمن هيكلاً تجاه اورشليم قال الكتاب: وبنى سليمان مشرفاً لكاموش رجس موآب في الجبل الذي تجاه اورشليم ولملوك رجس بني عمون. ولم يُسمع عنهم بعد ذلك نبأ حتى ايام عزيا (٨١١—٧٦٠) حيث ادّوا الجزية له من اغنامهم. وتمرّدوا على ايام يوتام ملك اورشليم فقاتل ملكهم وتغلب عليهم (٢ الايام ٢٧ : ٥) فادّى له بنو عمون في تلك السنة مئة قنطار فضة وعشرة

---

١) جاء في الترجمة البروتستانية التي طُبعت في المطبعة الاميركانية : وأخذ تاج ملكهم. فقد ترجموا ضمائر ملكهم وتماً يظهر ان الكلمة العبرانية تدل على ملكوم الاه العمونيين كما فسرهُ الآباء اليسوعيون في ترجمتهم فضلاً عن ان الملك لا يستطيع ان يحمل تاجاً وزنهُ قنطاراً والآثار انفسها تخبرنا على ان ملكوم كان ممثلاً على كرسي او عرش ومن فوق راسه شيء يشبه القبة وعليها تاج كبير

الآف كرّ من الحنطة وعشرة الاف من الشعير وادّت له بنو عمون في السنة الثانية والثالثة مثلها

وكانت الربة زاهرةً عامرة على ايام الانبياء تجمع عدداً عديداً من الناس ما بين اسوارها وكانت عبادة ملكوم سائدةً فكان الانبياء يأسفون على حالتها ويتنبّأون على خرابها المستقبل. قال ارميا النبي: «ها انها تأتي ايام يقول الربُّ لسمع فيها هتاف القتال في ربّة بني عمون فتصير تلّ ردم وتُحرق توابعها بالنار... قال الرب اصرخنَ يا بنات الربّة وتحزّمنَ بالمسوح واندبْنَ وطُفنَ عند الاسيجة فان ملكوم يذهب الى الجلاء هو وكهنتهُ ورؤساؤه جميعاً ما بالكِ تفتخرين بالاودية لقد ذيل واديكِ ايتها البنت العاصية المتوكلة على كنوزها. هانذا اجلب عليك الرعب يقول السيد رب الجنود» (ارميا ٤٩: ١-٧). وقال حزقيال النبي (٢٥: ٢): «اجعل وجهك يا ابن البشر الى بني عمون وتنبأ عليهم هكذا قال السيد الرب: بما انكِ ايتها الربّة قلتِ نعماً لمقدسي لانه دُنّس ولارض اسرائيل لانها استوحشت ولآل يهوذا لانهم ذهبوا الى الجلاء. هانذا اجعلكِ لابناء المشرق ميراثاً فيقيمون حظائرهم فيكِ ويجعلون فيك مساكنهم ويأكلون ثمرك ويشربون لبنك واجعل ربّة مناخاً للابل وبني عمون مربضاً للغنم». وقال عاموس النبي: «سأضرم ناراً في سورية فتأكل قصورها مع صيحة في يوم القتال وعاصف في يوم الزوبعة ويذهب ملكوم الى الجلاء هو ورؤساؤه معاً قال الرب» (عاموس ١-١٤)

وقد تمت تلك النبوءات الرهيبة على ايام اشوربانيبال (٦٦٨-٦٢٦) فلمّا حاصر الربّة اضرم ناراً في اسوارها وهدم قصورها وملكها وجلا اهلها الى بلاد الاشوريين وسار معهم الكهنة وخدَمة ملكوم وحملوا عبادتهم الى تلك الاراضي الغريبة. قال في سجلّاته: «واخذتُ بيت عمون في الحوران». وصار العمونيون الحين بعد الحين تحت سلطة الكلدانيين والفرس وقد اقام فيها الاعاجم قصراً سماهُ العلماء بالقصر الساساني وهو اليوم في المدينة العليا كما سنبينه. وعقبتهم زمناً طويلاً الدولة المصرية والسورية حتى ان بطلماوس فيلاذلفوس دعاها فيلاذلفيا نسبةً الى اسمه. وكانت الدول كلها افتتحتها بنت فيها المنازل الكبرى وشيدت اسوارها واقامت فيها البروج والمعاقل. وروى پوليبوس المؤرخ ان انطيوكس الكبير (٢٢٠-١٨٥ق.م)

حاصر في قلعة الربة جيوش بطلماوس فيلوباتور ولم يتمكن من افتتاحها الّا بخيانة وذلك ان اسيرًا كي ينجو من العذاب انبأ الملك عن البركة الموجودة تحت القلعة فمنع انطيوكس المياه عن اهل القلعة فاستسلموا بعد ايام لامر الملك انطيوكس لما اصابهم من العطش الشديد

وفي سنة ٦٥ قبل المسيح ملكها ملوك العرب المدعوين بالنبطيين وبقيت في حوزتهم الى السنة ٣٠ ق م. ومما يؤيد كلامنا ما عثرنا عليه من الآثار النبطية لا سيما النقود القديمة باسم عبداس الاول والثاني ومايكوس الثاني الذي ملك تسع عشرة سنة اي من سنة ٤٧ الى ٢٨ قبل المسيح واما اريتاس الرابع اي الحارث الملقب فيلوباتور (١٩ ق.م-٤٠ ب.م) فقد امتدت سطوته على الربة زمنًا طويلًا. ويفيدنا يوسيفوس المؤرخ اليهودي ان هيرودس الملك حاصر القلعة واخذها بالعطش. ومما يظهر ان پمپايوس غابينوس هو الذي جعل فيلاذلفيا تحت امارة الرومانيين

ودخل فيها الدين النصراني منذ الجيل الاول وقد ظنّ بعض المؤرخين ان المؤمنين الاولين هربوا من اورشليم لما حدث فيها من الاضطهادات والتجأوا الى عمان. وقد اصبحت تلك المدينة من اكبر المدن النصرانية وراء الاردن وغدت مع تقادم الازمان دار اسقفية وشُيدت فيها المدارس العالية ليتلقن فيها الاكليريكيون الدروس الدينية وبُنيت فيها الكنائس العديدة كما تشهد عليها اثارها الحاضرة. وقد ذكر المؤرخون الكنسيون انّ اساقفتها حضروا المجامع الاولى المسكونية كأفسس وخلكيدونية وفي نيتنا ان نسطر مقالة اخرى في مدينة عمان النصرانية ونذكر اساقفتها وكنائسها ومدارسها وسننشرها ان شاء الله عن قريب

٤ آثار الربة في عهدنا الحاضر

ان المدينة العليا من الربة تحتوي على بديع الاطلال ورفيع الابنية ومن اشهر تلك الآثار القلعة العظيمة وهي راقدة على جبل مرتفع وفي اعلاه سهل واسع يشبه الزاوية فالفرع الاكبر من الزاوية طوله تسعمئة متر وعرضه ثمانون مترًا فيتجه من الشرق الى الغرب والفرع الثاني طوله ٤٠٠ متر وعرضه ٦٠ م ويتجه من الجنوب الى الشمال والوديان العميقة تحيط بها من كل الجهات وقد اصطنعوا من الناحية

الشمالية خندقاً واسعاً حتى اصبحت القلعة منيعة لا تقوى عليها ايدي الفاتحين . ويرتقي اعلى الجبل شيئاً فشيئاً من الشرق الى الجنوب الى ان يصير علوه مئة وثلاثة وثلاثين متراً وقد بُنيت الاسوار من كل انحائها بالحجارة الكبيرة على الطريقة اليونانيّة الرومانيّة وشُيّدت عليها البروج المرتفعة حتى غدا علوها اكثر من عشرة امتار كما في الزاوية الشمالية ومما يستوقف الابصار البرج الجنوبي وله باب جميل نُقشت فيه انواع الزهور

وفي مقرن الزاوية يوجد باب عظيم يحتوي على ثلاثة ابواب ولم يبقَ هناك الا اساس الاعمدة الاربعة الكبيرة الراقدة على وجه الارض . واذا صعد السائح بعض الخطوات نحو الشمال التي امامه هيكلاً لم يترك لنا الدهر منه غير مقدمته وبعض الاعمدة المذكورة . وهذا الهيكل هو على الشكل الكورنثي ويتضح انّ بانيهُ هو القيصر مارقوس اوريليوس الفيلسوف (١٦١—١٨٠م) وقد وجدنا هنالك نقوداً من الملك المذكور عليها مرقوم: فيلادلفيا هرقل البقاعي Philadelphie d'Hercule (de Coelé-Syrie) وقد عثرنا على اثر حجري هناك سُطّر فيه اسم مارقوس اوريليوس وكان الملك المذكور قد بنى ذاك الهيكل على اسم هرقل اي الشمس معبودة العمونيين

ومن تتقدم نحو الشمال بين الاحجار والانقاض عاين القصر الساساني وله ست وعشرون متراً طولاً وخمس وعشرون عرضاً وفي منتصفه فناء واسع قد هبطت قبّتهُ الجميلة وبينما نحن نتأمل في جدران تلك الحجرة وما رُقش عليها اذ خرجت حية رقطاء تسايل ذات اليمين وذات الشمال وقد يأوي الى تلك الاخربة عدد وافر من الحيات كما روى ساكنو عمّان . وفي مؤخر تلك القسحة اربع حُجَر وفي زاوية كل منها برج عظيم . وقد يسحر الانظار ما رقش على جدارها من النبات والاثمار هناك عناقيد العنب تتساقط على الحائط ببديع نقشها هناك اوراق الدوالي وانواع الازهار تنبئ بجلي البيان عن حذق ناقشها . وكأن صانعها اراد ان يمثل اثمار تلك الربوع وقد اشتهرت تلك الارض بوفرة عنبها الى ايامنا الحاضرة وهي تذكرنا بقصر المُشَتّى (١ قال المقدسي في الجيل العاشر (ص ١٧٥) : انّ فيها قبر اوريا قائد الملك

١) قصر المشتى بناء مربع طولهُ ١٦٦ متراً وعرضهُ ١١٦ لهُ ابراج اربعة في كل زاوية .

داود الذي قُتل في محاصرة الربّة — ومن وراء القصر الساساني فناء كبير طولهُ مئة وثمانية امتار يمتدّ من الشرق الى الغرب وثلاثة وتسعون من الشمال الى الجنوب. واما الحائط الشمالي فكان مزيّناً بانكوى يضمون فيها التماثيل

ومما هو حري بالاعتبار ان ذاك الجبل يحتوي على بركة خفية مبنية في منحدر الجبال من جهة الشمال وكانت تجمع المياه لاهل القلعة ايام الحصار ويترل اليها الاهلون بدرجات كبيرة يستقون منها دون ان يعلم احد موقعها فضلاً عن ان تلك البركة يحجزها عن المحاصرين خندق اصطناعي يصدّ المحاربين عن الهجوم وكانت الجنود المحاربة تضع عليها ايام القتال حجارةً فتخفيها عن الابصار

واذا وقف الزائر على قمة القلعة وسرح الانظار فيما حوله من الآثار رأى المخازن القديمة ممتدَّة في اعلى الجبل بيد انَّ توازل الايام وايدي الايام قد هدمتها فلم يبق منها الّا اطلال داثرة واحجار محطَّمة . وقد يجد السائح على سفح الجبل جنوبيَّ القلعة بناء من الشكل الكورنثي وحائطهُ الشمالي مرتفع كما كان في الاعصر الخوالي وله ثلاثة ابواب فتدسسأهُ بعض العلماء هيكل الزهرة وظنَّهُ غيرهم انه نادٍ عمومي تلتئم فيه الجموع والشيوخ ليبحثوا عن مصالح المدينة . وكان بالقرب من النادي شارع مبلّط مزيّن بالاعمدة من جهتيه الشرقيَّة والغربيَّة . وكانت القوافل ترد اليه من كل الانحاء حاملة بضائع الشرق والشمال وقد اصبحت الربّة محطَّ القوافل المصرية والشامية في الاجيال القديمة

واذا خطا بعض الخطوات نحو الشرق وقطع الجدول عاين المرسح الشهير ويسميه الاهلون الملعب (١ . فهو كما كان من القِدَم لم يطرأ عليه تغيير فهو روماني الاصل قيل ان بانيهُ هو ترابانوس الملك وهو اكبر المراسح الموجودة في سوريا . على ان موقعه من احسن المواقع بحيث يقي المتفرّجين من اشعَّة الشمس حيناً طويلاً من

وقد يحسن فيه بابه الكبير وحائط الباب وكان على ذلك الحائط نقوش بديعة تمثل آثار تلك البلاد كلها وحيواتها وكان طول تلك النقوشات ستين متراً وعلوها خمسة امتار وقد منح تلك النقوش السلطان عبد الحميد للملك الالمانيين فاقتلعها الملك وحملها سنة ١٩٠٤ الى برلين عاصمتهم وهي من اجمل آثار متحفهم

١) ولعلَّهُ هو الذي سمّاهُ ياقوت (٣ : ٧٣٠) والمقدسي (ص ١٧٥) ملعب سليمان

النهار فضلاً عن ان الاصوات ترتفع من اسفل فلا يغيب عن الحواس حرف واحد لاسيما اذا ساد السكوت. وهذا المرسح مركب من ثلاث مراتب فالمرتبة الاولى لها خمسة صفوف من المقاعد . والمرتبة الوسطى فيها اربعة عشر صفاً من المقاعد والمرتبة الثالثة فيها ستة وعشرون صفاً من المجالس . وفي اعلى المراتب كانوا يضعون سدة الملك او الحاكم فكان يسود على الجميع ويقف على كل حركات المشخصين او المبارزين وهذا المرسح يجلس فيه اربعة آلاف ناظر . واذا رام احد النزول او الصعود تيسّر له ذلك دون عناء فانهم اقاموا في وسط المرسح طرقاً تؤدي الى درج يمتد من وراء الملعب . وفي اسفل المرسح يعاين المرء حجرتين كبيرتين كانتا معدتين لسجن الاسود والنمورة والتماسيح . وفي ساحة الملعب كان المبارزون يتصارعون امام جموع لا يُحصى لهم عدد — ولربما كانت العربات تتسابق في ذاك السهل الواسع والخيول تتجارى في ذاك الميدان

وبالقرب من المرسح يوجد بناء كبير سماه الاثريون مُغَنًى (σκηνή) وكان ذاك الملعب مخصوصاً بالنساء دون غيرهن يقضين فيه اوقات اللهو والسرور بين الاغاني والترانيم . وقد ارتأى بعضهم ان ذاك المرسح خُصَّ بالنساء فكن يمثلن فيه ادوارهن على ان الرجال كانوا يجتمعون به لسماع الروايات . وفي الجنوب عثر السكان على نواويس واسعة وقبور منحوتة في الصخر . وعلى جانب نهر عمان بنى الرومان حماماً بقيت اثارها الى ايامنا (له بقية)

النصرانية وآدابها
بين
عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني

الالفاظ النصرانية في لغة عرب الجاهلية

كثيراً ما كنّا نسمع في حداثة سننا بانّ اللغة العربيّة لغة القرآن وانها كلها